# في الجغرافية وجغرافيي الاسلام[1]

لحضرة سليم افندي ميخائيل شحاده (تابع لما قبله)

ونبغ ايضاً في الاسلام كثير من السيّاح الملاّحين الذين خاضوا عباب البحر وجروا نيه الى اقاصي المعمورة واشهر هولاء السيّاح بل اولهم عهداً فيما ذكرهُ المسعودي تاجر يسمّى سليمان نبغ في النصف الثاني من المئة التاسعة للميلاد وكان مقيماً ببلدة سيراف على ساحل بحر فارس وسيراف هذه كانت النرضة العظيمة لفارس وكانت السفن تقصدها من جميع الاطراف حتى ومن الصين وملاسيا مشحونة بالسلع والاموال لاتساع نطاق التجارة يومئذٍ بين بلاد فارس والمشرق الاقصى. ورحل سليمان طلباً لاسباب التجارة واجتاز بحار الهند ماراً بين سيلان وملقا ودخل بحار الصين وقد دوّن اخبار رحلتهِ ابو زيد البلخي في حدود سنة ٨٨٠ وزاد عليها ما نقلهُ من غيرهِ وحدّثهُ بهِ السياح الذين احتلوا سواحل الصين واخصهم ابن وهاب فانهُ جاب سواحلها وتفحص احوال اهاليها وقصد قاعدة المملكة فدخلها وهي فيما رواهُ على مسيرة شهرين من البحر وقابل سلطانها. وقد تُرجم كتاب ابي زيد الى الفرنسوية وطُبع في باريز سنة ١٧١٨ وهو مفيد لانهُ اوّل كتاب حوى وصف البلاد الصينية وقد ضبط ترجمتهُ العالم رينود واعاد طباعتهُ مع الاصل العربي سنة ١٨٤٥ ولابي زيد وهو احمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٩٥١ كتاب صور الاقاليم ايضاً ومسالك الممالك وكتاب البدء والتاريخ. ومما نعلمهُ ان تلك الاقطار لبعدها القاصي وتعذّر مسلكها كانت موضوعاً للاخبار المستحيلة وخرافات القصاص عند العرب على شاكلة قصة سندباد البحري في كتاب الف ليلة وليلة وما ماثلها من الحكايات الغريبة والاحاديث الواهية التي كثيراً ما وقع لبعض مؤرخي العرب نقلها واثباتها بدون تمحيص واحكام نظر. وللعرب ايضاً قصص موضوعة على الاوقيانوس الاتلانتيكي الذي سموهُ بحر الظلمات تبعاً لخرافات اليونان والرومان ومن ذلك خبر المغرورين الذين خرجوا من مدينة لشبونة (قاعدة البرتغال) وركبوا بحر الظلمات ليعرفوا ما فيهِ والى اين انتهاؤهُ فانشأوا مركباً حالاً ثم دخلوا البحر وجروا بهِ نحواً من احد عشر يوماً فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير الدروش قليل الضوء فايقنوا بالتلف ولهم في ذلك اخبار نضرب عنها وكان سفر المغرورين في حدود النصف الاوّل من القرن الثاني عشر للميلاد

ومما يحسن ذكرهُ هنا انهُ ترتب على الصلات التجارية التي وجدت بين العرب والصين في ذلك العهد معرفة استخدام المحكّ وهي الابرة المغنطيسية وخاصتها ان يتجه طرفاها الى الشمال والى

(١) وهي خطبة تلاها في المجمع العلمي الشرقي في جلسة اذار ١٨٨٣

الجنوب. وقد عرف الصينيون الحك من القدم ولكنهم لم يستخدموهُ في الملاحة الاّ في حدود المئة الرابعة للميلاد ويرجح الآن ان العرب نقلوا معرفة استخدام هذا الحك عن الصينيين في اسفارهم الى بلادهم وان الفضل للعرب في اتحافهم العالم الاوروبي بهذه الآلة النافعة فاخذها الافرنج عنهم في عهد التجريدة الصليبية الثانية. وقد احسن بعضهم ايضاً رسم الخرائط للملاحة ووضعوا لها قواعد محققة اهتدى بها الملاحون في ذلك العهد ونرى ان واسكودي غاما السائح البرتغالي المشهور اكتشف خريطة للملاحة عند مغربي في الجزرات استصحبه رُبّانًا في سفرهِ الى ملندة وذلك سنة ١٤٩٧ والبوكرك الكبير عامل الهند احرز خريطة رسمها له رجل عربي يسمى عمر وكان يستخدمها في اسفاره في بحر عمان وبحر فارس

ونبغ في القرن الثاني عشر للميلاد بعض الرحالة واهل الادب الذين صنفوا كتبًا في الجغرافية واخص بالذكر منهم البيروني وهو الشيخ العلاّمة ابو الريحان محمد بن احمد البيروني الخوارزمي المتوفى سنة ١٠٣٨ صاحب قانون المسعودي في الهيئة والنجوم وكتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية في النجوم والتاريخ وهو كتاب مفيد الّفهُ لشمس المعالي قابوس وبيّن فيهِ التواريخ التي يستعملها الامم والاختلاف والاصول التي في مباديها. واشتهر البيروني في الرياضيات وعلم الهيئة وهو اوّل من حقق صفة بلاد السند وبلاد الهند الشمالية وقد صحب السلطان محمود الغزنوي في غزواتهِ من سنة ١٠٠٠ الى سنة ١٠١١ واصلح ما وجدهُ من الخطإ في خريطة تلك البلاد وضبط مواقع مدنها وفعل ما فعلهُ غيرهُ من المتقدمين في تحقيق البلدان الاسلامية وترجم الى العربية بعض مصنفات البرهمة الهنود المدوّنة في اللغة السنسكريتية والحق يقال انهُ من المجتهدين الذين سعوا في تقدّم العلم فاحرز منهُ الكثير وافاد وقد طُبع نبذٌ من الآثار الباقية في باريز مترجمةً الى الفرنسوية.

وللشيخ ابي محمد الحسن بن احمد الهمداني كتاب في اسماء الاماكن الّفهُ سنة ١٠٣٦ للميلاد ولابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي المتوفى سنة ١٠٩٤ كتاب المسالك والممالك وكتاب المغرب في ذكر بلاد الافريقية والمغرب صنفهُ سنة ١٠٦٨ وهو عبارة عن وصف القسم الشمالي من افريقية اعني من وادي النيل الى الاوقيانوس الاتلانتيكي ومن البحر المتوسط الى السودان وكتابهُ هذا مختصر غيرهِ واظنهُ ماخوذًا عن كتاب المسالك والممالك وقد طُبع في الجزائر سنة ١٨٥٧ وطُبع ايضاً مترجمًا الى الفرنسوية في باريز سنة ١٨٥٩ ولهُ ايضاً كتاب سماهُ معجم ما استعجم من اسماء البقاع ذكرهُ ياقوت وقال لم ارَهُ بعد البحث عنهُ والتطلب لهُ اه. وهذا المعجم موجود في بعض مكاتب اوروبا وهو اوّل معجم وضع في العربية واقتصر فيهِ مصنفهُ على ذكر

المنازل العربية الواردة في اشعارهم واخبارهم . ولابي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة ١٠٦٢ كتاب في خطط مصر سماهُ الخبار في ذكر الخطط والآثار . والشيخ ابي القاسم محمود الزمخشري المتوفى سنة ١١٤٣ كتاب الامكنة والمياه والجبال وهو معجم يحاكي معجم البكري وان كان اكثر ايجازاً منهُ الاَّ انهُ اصحّ روايةً منهُ في كثيرٍ من مواضعهِ وقد نقل عنهُ صاحب القاموس اسماء الاعلام الجغرافية وعوَّل عليهِ في الكثير منها وهو كتاب لطيف وقف عليهِ ابو الحسن العمراني تلميذ الزمخشري فزاد عليهِ وقد تُرجم الى اللاتينية وطبع في باريز سنة ١٨٥٦ ولابي الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري المتوفى سنة ١١٤٦ كتاب في اسماء البلدان ولهُ ايضاً كتاب فيما اختلف وائتلف من اسماء البقاع اختصرهُ الحافظ ابو موسى محمد بن عمر الاصفهاني ذكرهُ ياقوت وقال انهُ وجدهُ تاليف رجل ضابط قد انفذ في تحصيلهِ عمرًا واحسن فيهِ عينًا واثرًا وقد نقل منهُ في معجمهِ . ولعليّ بن محمد الخوارزمي المتوفى سنة ١١٦٤ كتاب في اشتقاق اسماء المواضع والبلدان ولابي الفضل محمد بن ابي القاسم البنّاني الخوارزمي المتوفى سنة ١١٦٦ كتاب في منازل العرب

وللشريف محمد بن محمد الادريسي الصقلي كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق صنفهُ لروجر الافرنجي صاحب صقلية وهو من اصحابهِ ورتبهُ على الاقاليم السبعة واورد اوصاف البلاد والممالك مستوفيًا وهي المسافات بالميل والفرسخ ولكنهُ لم يذكر الاطوال والعروض واختصرهُ بعضهم . وهذا الشريف الادريسي من اشهر جغرافيي الاسلام الذين نبغوا في القرن الثاني عشر ولد في سبتة سنة ١٠٩٩ ورحل الى قرطبة في طلب العلم ثم رحل الى صقلية فاحسن روجر صاحبها وفادتهُ وقرَّبهُ منهُ فصنَّف لهُ كتابهُ نزهة المشتاق وفرغ من تصنيفهِ سنة ١١٥٤ وعمل لهُ ذات حلقٍ وكرةً مسطحة من الفضة زنتها ثماني مئة مارك رسم عليها جميع اقاليم واقطار المعمورة المعروفة في عهدهِ . وشان الادريسي انهُ نقطة المماسة بين جغرافية الاسلام وجغرافية الافرنج وكتابهُ تُرجم الى اللاتينية سنة ١٦٩٤ ترجمهُ اليها عالمان مارونيان من جبل لبنان وهو اوَّل كتاب في هذا الفن تداولهُ الافرنج وقد ترجم الى الفرنسوية سنة ١٨٣٦ وطبع في باريز وقد طبع القسم المتعلق في وصف المغرب وارض السودان ومصر والاندلس على حدةٍ في ليدن سنة ١٨٦٤ مع ترجمتهِ الى الفرنسوية وقد استعان الادريسي في تصنيف كتابهِ نزهة المشتاق بمصنفات مَنْ تقدمهُ من علماء هذا الفنّ وبما نقلهُ عن غيرهم من اخبار التجار والملاحين وعرَّف الطرق والمسالك ما امكنهُ وجعل لكتابهِ ٦٩ رسمًا نقلها عن كرةٍ المنوه عنها . ولهُ ايضاً كتاب روض الانس ونزهة النفس وهو اعمّ من كتاب نزهة المشتاق استعان بهِ ابو الفداء وسماهُ كتاب الممالك وهذا الكتاب لا وجود لهُ الآن وقيل بل يوجد منهُ نسخة في مكتبة باريز الملكية

ومن الكتب الموضوعة في هذا الفن كتاب مزيل الارتياب عن شتبه الانساب لابي المجد اسمعيل ابن هبة الله الموصلي ذكرهُ المؤيد في تقويم البلدان اعتنى فيهِ بضبط الانساب فقط ولم يذكر الطول والعرض ولهُ ايضاً كتاب التفصيل . وكتاب المسالك والممالك لابي الحسن علي المراكشي ذكرهُ ابن الوردي . وكتاب نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر لشمس الدين محمد الانصاري الدمشقي . وكتاب عجائب الدنيا للشيخ ازري الاسفرائيني وكتاب عجائب البلدان لابن الجزار . وكتاب اللباب الى معرفة الانساب لابي الحسن احمد الاشعري . وكتاب اسماء البلدان لابي الفتح محمد بن جعفر الهمذاني . وكتاب عيون اخبار الدنيا لمحب الدين النجّار البغدادي المتوفى سنة ١٢٤٥ وكتاب عجائب الاسفار وغرائب الاخبار لابي القاسم مسلم بن محمود الشيرازي . وكتاب المسالك والممالك المشهور بالعزيزي لحسن بن احمد الهمذاني ألفهُ للعزيز بالله الفاطمي صاحب مصر ونسبهُ اليهِ . وكتاب المسالك والممالك لابي عبد الله الجيهاني وزير امير خراسان وكان صاحب فلسفة ونجوم جمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك اليها ليتوصل بذلك الى فتوح البلدان . فجعل العالم سبعة اقاليم وجعل لكل اقليم كوكباً ولم يفصّل الكورة ولا وصف المدن بل ذكر الطرق شرقاً وغرباً وشمالاً وبذلك طال كتابهُ كذا قال صاحب احسن التقاسيم . وقال واما ابن الفقيه الهمذاني فانهُ لم يذكر الاَّ المدائن العظمى ولم يرتب الكور والاخبار وادخل في كتابهِ ما لا يليق بهِ . اه . وكتاب زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك في فضائل مصر واعمالها للفاضل خليل بن شاهين الظاهري . وكتاب الاشارات الى اماكن الزيارات لابن الجوراني ابتدأ فيهِ بذكر مدينة دمشق وما فيها من قبور الصحابة الى آخرهِ . وكتاب منازل الارض ذات الطول والعرض للشيخ علي بن ابي بكر السائح الهروي المتوفى بحلب في سنة ١٢٠٤ وقيل في سنة ١٢١٤ ذكر انهُ كتب واستوعب فيهِ ما قدر عليهِ ووصل اليهِ في سياحتهِ ولهُ ايضاً كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات مختصر ابتدأ فيهِ من مدينة حلب وكتب ما رآهُ برّاً وبحراً من المزارات والمشاهد وذكر انهُ لم يرَ كثيراً مما ذكرهُ اصحاب التواريخ ببلاد الشام والعراق وخراسان والمغرب واليمن وجزائر البحر ولا شك ان قبورهم اندرست . وذكر ان الانكتار (ريشارد) ملك الفرنج اخذ كتبهُ ورغب في وصولهِ اليهِ فلم يجب ومنها ما غرق بالبحر وانهُ زار اماكن ودخل بلاداً من سنين كثيرة فنسي اكثر ما رآهُ واعتذر عنهُ مع انهُ ذكر فيهِ من زيارات الشام وبلاد الفرنج والارض المقدسة وديار مصر والمغرب وجزائر البحر وبلاد الروم والجزيرة واطراف الهند والحرمين واليمن وبلاد العجم وهذا مقام لا يدركهُ احد من السياح والزهاد الاَّ رجل كامل الارض بقدميهِ وانبت ما ذكرهُ بقلبهِ وقلمهِ

واكثر هذه الكتب عزيز نادر الوجود وبعضها قد اندثر ولا يعلم لهُ من خبر ولدينا من اهل

الادب الذين صنّفوا في الجغرافية في القرن الثالث عشر للميلاد مَن قد اشتهر امرهم في الرحلة والتجوّل في الاقطار كابن سعيد المغربي الغرناطي القلعي الاندلسي وُلد بغرناطة سنة ١٢١٤ وتوفي بتونس في حدود سنة ١٢٨٦ رحل الى القاهرة والى حلب وتجوّل الى دمشق ودخل ارّجان وحجّ ثم عاد الى المغرب وقد صنّف في رحلته مجموعًا سماهُ بالنخبة المسكية في الرحلة المكية وكان نزولهُ في ساحل افريقية سنة ٦٥٣ للهجرة ثم رحل ثانيًا من تونس الى المشرق سنة ٦٦٦ للهجرة ولهُ تآليف عديدة منها الموضوعان الغريبان المتعددا الاسفار وهما المغرب في حلى المغرب والمشرق في حلى المشرق وكتاب عدة المستجز وعقلة المستوفز في رحلتهِ الثانية. على ان تصانيف ابن سعيد مؤاخذة ببعض الخطإ الذي اصلحهُ ابو الحسن المراكشي في كتابهِ سيفي وصف بلاد المغرب والاندلس فقد نقل ابن سعيد من كتب الاولين غير منتقدٍ واخذ عنهُ ابو الفداء في كتابهِ تقويم البلدان في ذكر العروض والاطوال فتعثر بزلّاتهِ وسقط في خطائهِ

وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي اشهر من ان يذكر وهو الشيخ الامام شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي صاحب التصانيف المشهورة وكان يوناني المولد أُسِر في حداثتهِ فبيع من تاجر حموي مقيم ببغداد ونشأ في خير مولاهُ وطالع العربية وحصّل العلوم واشتغل بداءة بدء في الاتجار وكان مولاهُ يفدهُ الى الاقطار في طلب اسبابها ورحل غير مرة الى جزيرة كيش الواقعة في وسط بحر فارس وكانت هذه الجزيرة وقتئذٍ محط رحال التجارة بين المشرق والمغرب وفيها كانوا يتبادلون متاع الهند وملاسيا بحاصلات مصر وبلاد الشام والمغرب الاقصى . ولما عتقهُ مولاهُ تعاطى التجارة لنفسهِ ولا سيما الاتجار في الكتب والتآليف ذلك ما سهّل لهُ الاحاطة بجميع العلوم وادخار اشتات الفوائد التي دوّنها في مصنّفاتهِ الجليلة وزاد عليها ما شاهده في اسفارهِ وحصلهُ في تطوافهِ وقد قضى سنين في الرحلة والتجول في بلاد العرب ومصر والشام والجزيرة وخراسان حتى شواطئ نهر جيحون ورحل الى القسطنطينية فيما روَاهُ بعضهم عنهُ . وفي حدود سنة ١٢٢٠ كان في خوارزم لما اغار جنكيز خان مع التتر على البلاد فعاد الى بلاد الشام وتوفي فيها سنة ١٢٢٩ . اما كتابهُ معجم البلدان فانهُ من اجلّ الكتب الموضوعة في الجغرافية وقد احرز السبق عليها لانهُ جاء اتمّ من غيرهِ المرتب على حروف المعجم وقد احاط بجميع اقسام المعمورة وذكر اسماء البلدان والجبال والاودية والقيعان والقرى والمحال والاوطان والجبار والانهار والغدران والاصنام والابدار والاوثان وتعرّض للكلام على صفة الارض وما فيها من الجبال والبحار وحذا حذو اليونان القدماء في قسمة الارض الى سبعة اقاليم واصحح في اشتقاقها والاختلاف في كيفيتها وجاء في تفسير الالفاظ التي تكرّر ذكرها في كتابهِ مثل البريد والفرسخ والرستاق والجند

والطول والعرض والصبح والسلم والفيء والغنيمة وذكر امزجة البلدان واهوائها ومطالع نجومها وانوائها وبلدانها اختصت من الخصائص وضبط تصحيح الاسماء واشتقاقها والمع بذكر من دفن فيها من الاعيان والصالحين والصحابة والتابعين واورد نبذاً مما قيل فيها من الاشعار ومن ينسب اليها من العلماء والمحدثين وقد حرص على تدوين اخبار بعض الرحالة الى بلاد الفرنج وغيرهم مما جاء بعظيم فائدة كما فعله في اثبات رحلة ابن فضلان الى بلغار. وقال ياقوت في مقدمته ما ياتي بعد ان ذكر كثيرًا من الكتب وهذه الكتب المدونة في هذا الباب التي نقلتُ منها ثم نقلت من دواوين العرب والمحدثين ومن افواه الرواة وتفاريق الكتب وما شاهدته في اسفاري وحصلته في تطوافي اضعاف ذلك اه. وكان برد والشاهجان في سنة ٦١٥ (١٢١٨ للميلاد) لما وقع له بعض البواعث لجمع هذا الكتاب واسهب في ذكر ما لقيه من النصب والتعب في اتمامه ففرغ من تاليفه في سنة احدى وعشرين وستمئة (سنة ١٢٢٤ للميلاد) على انه اعاد النظر اليه وصححه غير مرة. وفي المكاتب الافرنجية عدة نسخ منه واحدة منها كان الشروع من تبييضها سنة ٦٢٥ وهذه النسخة طبعت في ليبسيك سنة ١٨٦٦ في ثماني مجلدات وزيد عليها فهرسة باسماء الاعلام الذين جاء ذكرهم في هذا الكتاب ولهُ كتاب المشترك وضعًا والمفترق صقعًا انتخبهُ من كتابهِ معجم البلدان على الحروف وطُبع في كوتنجن سنة ١٨٤٦ وقد اختصر ياقوت معجمهُ في كتاب سماهُ مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع لم يتصل بنا واختصر المعجم ايضًا جلال الدين السيوطي وسماهُ مراصد الاطلاع ولم يتمهُ واختصرهُ صفيُّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق وهذا المختصر موجود في المكاتب الاوربية وقد طُبع في المانيا

اما الشيخ زكريا بن محمد القزويني فقد نبغ في القرن الثالث عشر وكانت وفاتهُ سنة ١٢٨٣ ولهُ كتاب آثار البلاد واخبار العباد مجلد في الجغرافية على مقدمة وسبعة اقاليم ولهُ ايضًا كتاب عجائب المخلوقات جمع فيهِ ما عرف وسمع من خصائص البلاد والعباد لكن فيهِ الغث والسمين وتاريخ تاليفهِ سنة ١٢٧٥ وهذان الكتابان طُبعا في كوتنجن سنة ١٨٤٢ وقد سماهُ بعضهم بلينيوس المشرق لانهُ عني بالتاريخ الطبيعي ودوَّن منهُ ما احاط بهِ علمًا وما نقلهُ عن المتقدمين. ولزين الدين عمر بن المظفر ابن الوردي المتوفى سنة ١٣٤٨ كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب مجلد نصف اولهُ في ذكر اقاليم وبلدان والباقي في بعض احوال المعدن والنبات والحيوان وهذا الكتاب موجود في المكاتب الاوروبية ولا بركن اليهِ لتعدُّد الزلّات والشطط فيهِ. وللقاضي تاج الدين ابن المنوج المتوفى سنة ١٣٢٩ كتاب اتعاظ المتامل وايقاظ المتغفل في بلاد مصر

واشهر جغرافيي المئة الرابعة عشرة ابو الفداء فان ابا القاسم محمد النويري المالكي اقتصر على

تدوين اخبار المتقدمين في القسم الجغرافي ولم يات بفائدة جديدة ثم نبغ بعده الذهبيّ وهو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان المصري المتوفى سنة ١٣٤٧ وله المعجم الصغير . ولعبد الرشيد بن صالح بن نوري الباكوري الذي نبغ في حدود سنة ١٣٩٧ كتاب تلخيص الآثار في عجائب الاقطار . اما ابو الفداء فهو الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل بن علي ابن ايوب بن شادي صاحب حماة ولد سنة ١٢٧١ للهجرة وصار من جملة امراء دمشق وبالغ في خدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون الى ان وعده بسلطنة حماة وقام له بما وعده وبكل ما يحتاج اليه وكان فيه مكارم وفضيلة تامة مع فقه وطب وحكمة وغير ذلك . وكان اجدر ما يعرفه علم الهيئة لانه اتقنه وان كان قد شارك مشاركة جيدة وكانت وفاته سنة ١٣٣١ وكتابه تقويم البلدان طبع في باريز سنة ١٨٤٠ وقد ترجم الى اللاتينية وترجم قسم منه الى الفرنسوية . قال ابو الفداء في مقدمته قد جمعنا في هذا المختصر ما تفرّق في كتب عديدة على ما ستقف عليه عند ذكرها وحذونا في تاليفه حذوَ ابن جزلة في كتاب تقويم الابدان في الطب وسميناه كتابنا تقويم البلدان وقبل ذكر البلاد في الجداول نقدم ما يجب معرفته في ذكر الارض والاقاليم السبعة والمجاراه . وقد جرى في تاليفه على تقسيم الاقاليم فانه ذكر في جداوله الاسماء واسماء المنقول عنهم والطول والعرض والاقليم الحقيقي والاقليم العرفي وضبط الاسماء وبسط الاوصاف والاخبار العامة وهو مأخذ ببعض الاغلاط التي نقلها من كتب المتقدمين بدون انتقاد وتمحيص كما اخذ عن ابن سعيد في وصف بلاد المغرب بدون تحرّي ومع ذلك فان كتابه جدير بالمطالعة ويعدّ في طبقة المصنفات الجغرافية الجليلة التي خلفها لنا علماء العرب

ومن اعظم متجوّلي الاسلام رحلةً واكثرهم استيعاباً للاخبار ابو عبد الله محمد بن ابرهيم اللواتي الطنجي المشهور بابن بطوطة صاحب تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار خرج من طنجة مسقط راسه في ١٤ حزيران سنة ١٣٢٥ وتجوّل في المغرب وافريقية وطرابلس وبرقة ومصر وفلسطين وبلاد الشام ثم رحل الى حلب وجاء دمشق وذهب حاجّاً ثم رحل الى نجد وعاد الى الشام وطاف العجم والعراق وبلاد ما بين النهرين وعرّج نحو الجنوب فدخل بحر بربرة وجاء كيلوا على ساحل افريقية الشرقي وعاد الى هرمز مخترقاً القسم الجنوبي من جزيرة العرب وجاب جزائر بحر فارس المشهورة بمغاصات اللؤلؤ ثم ذهب حاجّاً ثانياً ورحل من الحجاز الى الشام ومنها دخل الاناطول وتجوّل فيها ومنها ركب البحر قاصداً القرم وتسوّح في بلاد القفجق ( قبجاق ) وهي روسيا الجنوبية وكانت في ولاية ابدسن سليلة جنكيز خان ومن قفجق رحل الى بلغار قاعدة بلاد البلغار القديمة التي ذكرها ابن فضلان في رحلته وآثارها قائمة الى الآن على ضفة نهر الاتل و بلغ

ابن بطوطة آخر حدٍّ من المعمورة في الشمال عرفهُ العرب وما وراءهُ ارض الظلمة وبينها وبين بلغار مسيرة اربعين يومًا ورغب في دخول ارض الظلمة لكنهُ اضرب عن ذلك لعظم المؤونة فيهِ وقلة الجدوى. قال والسفر اليها لا يكون الاَّ في عجلات صغار تجرها كلاب كبار فان تلك المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الآدميّ ولا حافر الدابة بها والكلاب لها الاظفار فتثبت اقدامها في الجليد ولا يدخلها الاَّ الاقوياء من التجار اه. وقد المع ابن بطوطة في كيفية الاتجار في ارض الظلمة وهي عبارة عن معاوضة يجريها التجار مع شعوب تلك البلاد وياخذون بدلاً من متاعهم السمور والسنجاب والقاقم ورحل الى القسطنطينية واقام بها سنة يشاهد عظمة هذه المدينة ثم عاد الى قبجق ورحل منها متجولاً في البلاد الواقعة في شمالي بحر الخزر ودخل خوارزم (خيوا) وبخارى وخراسان وقندهار ووادي السند الفاصل بين الهند وايران واقام بدلهي قاعدة السلطنة الاسلامية في الهند سنتين ونصب على القضاء فيها ثم رغب في الرحلة فذهب رسولاً من السلطان الى سلطان الصين متجولاً في البلاد الممتدة من كنباية الى كاليكوت واضطرَّ الى الاقامة بجزائر ملديف وولي فيها القضاء سنتين ثم نهض منها متتبعًا سيرهُ الى الصين فدخل جزائر سيلان وسمطرة وجاوة وفي سفره وشاهد عدة مدن من الصين واقام اياماً بخان يالق وهي بكين قاعدة المملكة ورحل عنها قاصدًا المغرب وكان قد بارح بلاده منذ ٢٤ عامًا فوصل طنجة في حدود سنة ١٣٤٩ للميلاد وما لبث ان عاد الى الرحلة فدخل الاندلس وتطوَّف فيها مسرحًا نظرهُ في مبانيها الفاخرة ومعاهدها الزاهرة لا سيما بلد غرناطة. وفي سنة ١٣٥٢ ذهب رسولاً من سلطان مراكش الى بلاد السودان وعبر البلاد الى ما وراء نهر تمبكتو ثم عاد الى فاس وفيها واقفهُ المنية سنة ١٣٧٧ ورحلتهُ هذه طبعت في باريز سنة ١٨٥٣ وقد ترجمها بعضهم الى الفرنسوية وهي في اربع مجلدات وهي كثيرة الفائدة حوت من نوادر الاخبار ومشاهد البلدان والامصار ما تحلو مطالعتهُ وان تخللها اشياء يتبرأ الانسان من صحتها فانهُ قد علَّق اكثر المواد بخطهِ ونقاعد عن تدوينها فضلاً عما اصابهُ من ضياع كتبهِ واوراقهِ في احدى رحلاتهِ

وهاك بيان اسماء غيرها من الرحلات التي صنفها بعض العلماء الاعلام رحلة الشيخ ابن حبيب. ورحلة ابن جبير طبعت في المانيا ورحلة ابن خلدون وهي عزيزة الوجود ورحلة ابن رشيد ورحلة ابن الصلاح ورحلة ابي القاسم التجيبي ورحلة بدر الدين ابن رضى الدين الغزي والرحلة القيومية والمكية والدمياطية للشيخ جلال الدين السيوطي ورحلة الكتاني ورحلة محمد بن رشد المالكي

(سنأتي البقية)